عالمية الفكر وإنسانيّة الخطاب في منهج عبد الحميد بن باديس" أحداث ومواقف"

أ/ أحلام بوعلاق -جامعة باجي مختار. عنابة

مقدمة:

يعتبر العلامة عبد الحميد بن باديس من الأسماء الجزائرية والعربية الخالدة، حمل على عاتقه مسؤولية النهوض بالأمة الجزائرية وإعادة بعث روح الحضارة فيها بعد ما أصابها من جهل وتخلف واستعمار...فهو أحد المتشددين في المحافظة على علوم الاسلام وآداب العرب وخصائص الشرق المؤمنين أنها كانت في فترة من التاريخ منبع إسعاد وإعزاز وقوة. فقد تبنى بن باديس أفكار تحرير الشعوب العربية والإسلامية من الاستعمار الفكري والأدبي والثقافي والاقتصادي... وكان من المدافعين عن الاسلام واللغة العربية في كتاباته وخطاباته التي تحمل روح التجديد والحضارة والوعي بقضايا العالم، كما كان من أبرز المصلحين في المجال الديني والاجتماعي والأدبي والنقدي، حيث أبدع في كتابة المقال والشعر والخطب...كما ترك بصمته المضيئة في جمعية العلماء المسلمين.

انطلاقا من هنا تدور هذه الورقة البحثية حول رؤية بن باديس لقضايا الأمة الجزائرية خاصة والأمة العربية الاسلامية عامة وموقفه منها. وبالتالي تقوم هذه المداخلة على عدة إشكاليات أهمها: . ماهي رؤية بن باديس للعالم؟ وماهو موقفه من القضايا الوطنية والعربية والعالمية في كتاباته؟. ماهي مرجعياته الفكرية والمعرفية؟ ماهي مميزات منهج بن باديس ؟ وماهي جهوده في خدمة

الدين الاسلامي ؟وإلى أي مدى أسهم في بعث حركة نقدية وأدبية وثقافية في الجزائروفي الوطن العربي؟ اضافة إلى العديد من الإشكاليات الأخرى.

1. بطاقة تعريف: من هو عبد الحميد بن باديس؟

هو رائد الإصلاح الديني والتربوي والأدبي والثقافي في الجزائر ، ولد سنة 1889م من أسرة بربرية عريقة اشتهرت بالعلم ، ويرجع أصلها إلى المعزبن باديس الصنهاجي (1014. 1062)، مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي سبقت دولة الأغالبة . ومن أجداده العباس بن باديس أحد وجوه قسنطينة ومن أشهر علمائها، والده محمد المصطفى، كان عضوا في المجلس الجزائري الأعلى، ونائبا في قسنطينة في المجلس العمالي الأعلى ... وإن تقديمنا لعائلة بن باديس هو بهدف توضيح مكانة العائلة وانشغالها ووعيها بوضع الشعب الجزائري وما يعانيه من مظالم ، وبذلك كان بن باديس سليل عائلة إسلامية جزائرية واعية.

نشأ بن باديس في أحضان تلك الأسرة العريقة في العلم والجاه، فحرص والده على أن يعلمه تعليما إسلاميا فلم يدخله المدارس الفرنسية كبقية أبناء الأسرة، حفظ القرآن الكريم على الشيخ 'محمد المداسي'[1] وبرع في تجويده وسنه لا يتجاوز الثالثة عشرة سنة، ومن شدة إعجاب الشيخ باجتهاده وأدبه قدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابعة في الجامع الكبير. كما أخذ بن باديس العلوم العربية والإسلامية ومكارم الأخلاق عن الشيخ **حمدان الونيسي**، وغيره من العلماء الجزائريين والعرب.

وقد اكتسب الشيخ عبد الحميد بن باديس سُنَّةً حميدة ممن سبقه من العلماء والصالحين، وهي الرحلة في طلب العلم لمواصلة التحصيل، فارتحل إلى تونس متتبعا ينابيع العلم والمعرفة، وقد تلقى العلم في تونس على يد أبرز

---

1) **محمد المداسي**: يعتبر من أكبر المشايخ وأشهر القراء في تلك الفترة.

علمائها" أمثال الشيخ **محمد النخلي** والشيخ **محمد الطاهر بن عاشور**... وظل يأخذ من شيوخه حتى استوفى الكثير مما عندهم من العلوم الإسلامية طيلة أربع سنوات إلى أن أجازوه للتدريس، فمكث بعد تخرجه سنة أخرى للتدريس فيها، وكانت تلك عادة متبعة في كثير من الجامعات الإسلامية."[1]

عاد الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى الجزائر سنة 1912م بعزيمة كبيرة لإعادة بعث الأمة الجزائرية من مرقدها بعد ما أصابها من جهل وتخلف جراء الاستعمار الفرنسي والاستدمار الذي قام به اتجاه الشعب الجزائري.

وفي سنة 1913م ارتحل إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج فالتقى هناك بأستاذه الأول الشيخ حمدان الونيسي، والتقى كذلك بعالم الهند الكبير الشيخ حسين أحمد المدني، كما التقى في المدينة المنورة بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي شاركه نضاله لخدمة الجزائر والإسلام والعروبة.

بعد المجهودات الكبيرة التي بذلها الشيخ عبد الحميد بن باديس في خدمة الدين الاسلامي واللغة العربية ، أثمرت دعوته في الجزائر والمغرب العربي وآتت أكلها وحولت وجه التاريخ الجزائري بتعاليمه النيرة ، كما أسهم في خلق نهضة فكرية وأدبية وثقافية... وتكوين جيل واع ومثقف ومتدين... غادر العلامة تلاميذه ومحبيه ومتتبعيه في 16 أفريل 1940م ، لكن ذكراه باقية خالدة في سجل العلماء والعظماء الذين نقشوا أسماءهم بأحرف من ذهب في تاريخ الإنسانية، وعلى قبره نجد هذه الأبيات:

ياقبر طبت وطاب فيك عبير	هل أنت بالضيف العزيز خبير
هذا ابن باديس الإمام المرتضى	عبد الحميد إلى حماك يصير
العالم الفذ الطي لعلومه	صيت بأطراف البلاد كبير
بعث الجزائر بعد طول سباتها	فالشعب فيها بالحياة بصير

1) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1997، ص64.

وقضى بها خمسين عاما كلها خيرلكل المسلمين وخير
ومضى إليك تخصه بثنائها وإليه من بين الرجال تشير

2. عبد الحميد بن باديس.. المثقف الموسوعة

يعتبر عبد الحميد بن باديس من أبرز أقطاب النهضة الجزائرية بمختلف أنواعها وأشكالها، فقد كان العلامة بالقياس إلى تلك الفترة التاريخية من تاريخ الجزائرواعيا كل الوعي بما يحدث من تغيرات، إذ أن الوعي بما يحدث حولنا من تطورات يعتبر من أهم النقاط الأساسية لتشخيص موقعنا كأفراد وجماعات مما يدور حولنا، "وإن رجل العلم والثقافة أول حامل لهذا السلاح وهو يخوض معركة من أصعب المعارك، معركة تكوين أجيال سليمة من الجهل ذات نظرة ثقافية للمستقبل والحياة، إنها بحق معركة صنع الرجال... إن الكاتب وهو يعيش وسط مجتمعه ويتعامل مع المحيطين به ويتفاعل معهم فإنه في الوقت ذاته يختلف عن غيره في جوانب عديدة، فهو يحيا وسط المجتمع، ولكن إحساساته واهتماماته ونظرته للأمور تختلف لا شك عن نظرة واهتمام غيره من الناس، فهو يشارك غيره أحاسيسهم واهتماماتهم ولكنه في آن واحد يساهم في التعبير عن هذه الاهتمامات والأحاسيس وفق نظرة متكاملة للحياة ورؤية واضحة لسير الأمور."[1] وتبعا لذلك جسّد الإمام عبد الحميد رمز المثقف الموسوعي الواعي، تأثر بالحركة الاصلاحية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فجعل القرآن الكريم والسنة النبوية من أبرز اهتماماته وأهم مرجعياته " ويعد ثاني شخصية تختم تفسير القرآن الكريم في الجزائر بعد أبي عبد الله التلمساني في المائة الثامنة للهجرة رغم مشاغله التعليمية الكبيرة وأيضا الصحفية والاجتماعية

1) محمد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية (1975 . 2005)، موفم للنشر، الجزائر، ط1، ص25.

التي منعته من تسجيل كتابه..."[1] كما حمل على عاتقه مسؤولية انتشال مجتمعه وأمته مما تقبع فيه من جهل وأمية... وسجل اسمه من ذهب في قائمة العلماء والأدباء والمثقفين..." فلا يستقيم عن بن باديس حديث ولا ينتظم حوله بحث حتى يعالج على أنه صحفي في الصحفيين، ومصلح في المصلحين، وزعيم سياسي في السياسيين، وثائر متحفز في الثائرين، وعالم دين من العلماء البررة الصالحين، بل يجب أن يتناول أيضا على أنه خطيب ..."[2] وأول رئيس لجمعية العلماء المسلمين في الجزائر.

3. عبد الحميد ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين:

إنّ المتتبع لظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يجد أنها نشأت في ظروف مشحونة بالتحدي والسيطرة من قبل المستعمر وتدهور الأوضاع في الأمة الجزائرية على جميع الأصعدة والمجالات ، خاصة في مجال التعليم الذي يعد أساس قيام ونهضة المجتمعات . ومن أبرز العوامل التي ساعدت على تأسيس الجمعية " الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية ومنهجه التربوي القويم والتعاليم الاسلامية الحقة التي كان يبثها في نفوس مريديه..." [3] ففكرة تأسيس الجمعية جاءت بعد دعوة العديد من الكتاب والأدباء والمفكرين في الصحف العربية والجزائرية إلى ضرورة تأسيسها، خاصة مع تأزم الأوضاع وتدنيها وتبعا لذلك"اجتمع في الخامس ماي سنة 1931م بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر

---

1) محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، دار الشروق، بيروت، ط1، 1999، ص35.

2)عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925. 1954) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983، ص61.

3) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1997، ص94.

الجزائري وطلبة العلم فيه إجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة ، وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكّر فيها علماء القطر فرادى، وهي تأسيس جمعية العلماء المسلمين ..."[1] وقد كان اجتماعهم بهدف صياغة أسس ومبادئ الجمعية ووضع قانونها الأساسي . وقد ضمّت الجمعية جماعة معينة من الأعضاء وقع الإجماع على اختيارهم ، وهذه أسماؤهم : الأساتذة : عبد الحميد بن باديس، محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب العقبي ، محمد الأمين العمودي ، مبارك الميلي ، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي ، مولاي محمد الشريف ، الطيب المهاجي ، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر القاسمي ، محمد الفضيل اليراتني . وقد ترأس الجمعية الأستاذ عبد الحميد بن باديس وللنيابة عنه الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي .

وقد قامت جمعية العلماء على مرجعيات وأسس متعددة كان أبرزها :

- الإسلام، دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به رسله وختمه على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده ، فالإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به لأنه يدعو إلى الأخوة بين البشر أجمعين ويدافع عن الحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان ، كما يمجد الإسلام العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير، وينشر دعوته بالحجة والإقناع، لا بالإكراه . كما أنّ الإسلام يدعو إلى رحمة الضعيف فيُكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعين المضطر ويغيث الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم ...
- كما اعتمدت الجمعية على السنة القولية والفعلية الصحيحة التي تعتبر تفسير وبيان للقرآن .
- وسلوك السلف الصالح" الصحابة والتابعين وأتباع التابعين" والتطبيق الصحيح لهدي الإسلام.

---

1). أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997 ، ط1 ، ص 71 .

. إضافة إلى فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة.

وهكذا صمد الشيخ بن باديس المؤمن بربه وبحقه في وطنه، وتحدى الاستعمار الظالم معتمدا على سلاح الإيمان والدين الإسلامي. كما " إنّ تقديم الجمعية للإصلاح الديني على الإصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم، وليس معنى هذا أنّ الجمعية لم تحم حول الإصلاح العلمي، فدروس رجالها وأسلوبهم في دروسهم، كل ذلك أمثلة من الإصلاح العلمي ونهج جديد نهجوه له وطريقة تحتذى فيه، كما كانت دروس رجالها مؤدية لغرضين: الإصلاح العلمي بأسلوبها ولغتها ومناهجها ونوع كتبها، و الإصلاح الديني بمعالمها ومواضيعها."[1]

4. القضايا الوطنية والعالمية في فكر بن باديس:

لم يكتف الإمام عبد الحميد بن باديس بمعايشة الأوضاع التي يعيشها مجتمعه وشعبه وأمته، بل سعى إلى التغيير وفق رؤى معينة تصور لما ينبغي أن يكون، أي تصور إمكانية تغيير الواقع القائم وتعديله وفق ما تراه الجماعة محققا للتوازن المنشود. " إنّ شخصية الأستاذ عبد الحميد بن باديس غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي لا تماثلها إلا شخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها وشمولها وجرأتها وتعبيرها عن جوانب المشكلات الاجتماعية ، والأخلاقية والدينية والعلمية والسياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي... وهو كاتب ذو سلاسة وعذوبة وسهولة، وأسلوبه أسلوب سهل ممتنع، لا يستعمل السجع ولا يتكلفه، كيف لا وهو الدارس لكتاب الأمالي وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، ومقدمة ابن خلدون، والعواصم من القواصم، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، ومن قبل ذلك كله، معجزة الأدب العربي وآية روعته: القرآن وجمال حديث

1) أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997 ، ط1 ، ص144 / 145 .

صاحب جوامع الكلم وأفصح من نطق من بني العرب، وهو شاعر يفيض الشعر من قلبه وخطيب لا يتلعثم ولا يتردد، يستولي على النفوس ويملك العقول..."[1]

فالجزائر بالنسبة إلى عبد الحميد بن باديس هي وطنه الخاص الذي يعيش من أجله بعد الإسلام، حيث يقول: "...أما الجزائر فهي وطني الخالص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض عليّ تلك الروابط لأجله .كجزء منه .فروضا خاصة، وأنا أشعر أن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة، وكما أني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه، إلى رجاله وإلى ماله وإلى آلامه وأماله."[2] ويقول في هذا الشأن أيضا: «رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة وافتراق في السير حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة وماتت الهمم الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال واستولى القنوت القاتل واليأس المميت، فأحاطت بنا الويلات من كل جهة و انصبت علينا المصائب من كل جانب، رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم وذقنا منه الأمرّين مثلهم ففزعنا إلى الله الذي لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلها أن تمسّ ايماننا به وتزعزع ثقتنا فيه... فهدانا وله المنّة إلى النور الوضاء الوهاج الأتم، والمنهاج الواضح الأقوم، هدانا إلى سنّة سيدنا الأكرم وقدوتنا الأعظم سيدنا محمد صلى الله

---

1) للمزيد من التفاصيل أنظر : عمار الطالبي : آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3، 1997، ص 90 / 91 .

2) عبد القادر فضيل/ محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر (عبد الحميد بن باديس)، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2010، ص 102.

عليه وآله وسلم» .[1] وتبعا لذلك أعطى لدعوته منذ بداية الثلاثينيات "بُعدها القومي العربي والديني الإسلامي، كما أعطاها بعدها الإنساني في نظرة إصلاح متجددة ضمن إطار الشريعة الإسلامية... ويعتبر ابن باديس مع إخوانه أعضاء جمعية العلماء روّاد الإصلاح في الجزائر، الذي دعا إليه الإمام محمد عبده في المشرق، وكان لدعوته استجابة ملحوظة في المغرب."[2] حيث يقول محمد العيد في قصيدة بعنوان (رسم الإمام ابن باديس) :[3]

هذا ابن باديس في القرآن مفتكر ... يجلو معانيه كالدرّ والماس

أحيا الجزائر بالعرفان فانتعشت ... وذاد عن حقها بالعزم والباس

وودٍ من شعبه أن يستجيب له ... ويستنير من الذكرى بمقباس

فكن له سامعا إن رُمتِ منزلة ... رفيعة القدر عند الله والناس

- الدين الاسلامي:

كرّس عبد الحميد بن باديس وقته وجهده لخدمة الدين الإسلامي، الذي عمل الاستعمار الفرنسي بكل قوته ونفوذه على محوه، وتشويهه، ويقدم العلامة بن باديس وصفا معبرا للحالة الحرجة التي آل إليها الاسلام في الجزائر قائلا: "

---

1) عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج1، المجلد الثاني، ط3، 1997، ص24.

2) نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب التحرير والرفض ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان، ص391 / 394 .

3) شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص520 .

فلما أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسي غريبا في جمهور أهل الوقت لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد ودخلت على سننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد..."[1] لهذا انصب جهده أولا"على تنقية الدين من البدع والخرافات والأباطيل ، وحمل على البدع حملة شعواء، لم تأخذه في الحق لومة لائم حتى عاد للدين صفاؤه ونقاؤه وعاد لأبناء الجزائر هويتهم الوطنية العربية الاسلامية. "[2]

كما عمل العلامة بن باديس على توعية العقول وتشجيع النفوس للمضي قدما، انطلاقا من نقطة أن المسلمين هم السواد الأعظم في وطنهم فإذا تثقفوا بالعلم وتحلوا بالآداب وأشربوا حب العمل وانبعثت فيهم روح النشاط كان منهم كل خير لهذا الوطن وسكانه على العموم بما يُسر به الحاكم والمحكوم."[3]

- اللغة والأدب العربي:

لا شك أنّ بن باديس عنوان كبير في تاريخ اليقظة الجزائرية الشعبية والفكرية التي أعلنت رفضها للاستعمار، بالاعتماد على شتى الوسائل والطرق للتعبير عن الواقع الجزائري وانتقاد سياسة الظلم والهيمنة التي يمارسها المستعمر على الشعب الجزائري ،"وإذا كان كثير من مثقفي الجزائر قبل ابن باديس، يعتنقون مثل ما كان يعتنق هو من آراء، فإن أولئك المثقفين لم يصدعوا بالدعوة ولم ينهضوا لنشرها بين المواطنين، ولم يغامروا في تحدي الاستعمار على ضراوته وشراسته وحقده على العربية وأهلها والإسلام الصحيح ومعتنقيه ، فابن باديس هو أول من صدع بالدعوة جهارا، وانبرى لإذاعتها بين الشعب الجزائري على اختلاف طبقاته ... ومن أعظم مظاهر ثورته تأسيسه

1) عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج1، المجلد الثاني، ص29.

2) محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ص37.

3) مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، ص97.

مدارس عربية تدافع عن الشخصية الجزائرية، وتنافح عن أصالة عروبتها من أن تطغى عليها العجمة والرطانة..." [1] خاصة في ظل الأوضاع الراهنة والصراع القائم بين الثقافة واللغة الفرنسية التي تعد دخيلة على الأمة الجزائرية وبين اللغة العربية لغة الشعب الجزائري . ومن هنا تجسد دوره في ظل هذا الصراع حيث قام الأستاذ الرئيس بن باديس وعرض على الناس المستوى الذي آلت إليه اللغة العربية جراء الاستدمار الذي تعيشه البلاد وذلك في خطاب استثار الحماسة والحمية في النفوس، والنخوة في الرؤوس، وأسال في العيون الدموع والعبرات وكان خطابا محكما وجيزا، وآية من آيات البيان ختمه بقصيدة من شعره البليغ مطلعها:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات لقد كذب
أو رام إدماجـا له رام المحال من الطلب

وقد ختمها بهذا البيت الرائع:

فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب[2]

بالإضافة إلى ذلك اهتم بن باديس بالأدب والكتابة الأدبية لأنه أدرك " أنّ الأدب يمثل الانطلاقة الشعورية العالية في ثقافة ما، يحتاج دائما إلى الصقل والتجديد بالمناقشة والنقد حتى لا يتجمد ويصبح يدور حول نفسه."[3] كما أنّ العلامة " محدث بصير وأديب ذواق، فهو يعشق الأدبين القديم والحديث

1) عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، مرجع سابق ، ص 31.

2) عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج2، المجلد الثاني، ط3، 1997، ص334/335.

3) أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 31 .

وينقدهما ويعطي لطلابه وزائريه زبدة ما قرأ ويوازن بين شعر وشعر وينشر الملح والطرائف، وله باب في الشهاب بعنوان 'من أحسن القصص والأدب' جمع فيه بين كل طريف وظيف."[1] فاهتم بإصدار الكتب والمجلات والجرائد من جهة وبناء المساجد والمدارس من جهة أخرى .

- مقاومة الاستعمار:

انتقد بن باديس السياسة الاستعمارية بشدة إذ أنّ "العملية النقدية ضرورية في أية حركة تقوم على منهج ونظام ، يهدف إلى تحقيق أهداف معينة ، و إلى تسجيل غايات في الواقع التاريخي... لأنّ جوهر التغيير الاجتماعي والإصلاح النفسي والخلقي، يقوم على أساس النقد، والحركة الإصلاحية في الجزائر قامت على الصراع بين ظاهرتين: ظاهرة النقائص والعيوب، وظاهرة الفضائل والاستعداد النفسي لتقبل الحقيقة..."[2] لذلك قام الفكر النقدي عند بن باديس على الصراع بين الاستعمار ومخططاته التي تهدف إلى تجهيل وتضليل الشعب بشتى الطرق، وبين الحركة الإصلاحية التي تحملها الجمعية وتسعى لتجسيدها ويبقى الشعب هو محور الصراع ، ويرى بن باديس أنّ " الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من أصول الكمال واستعدادات عظيمة للخير وهو ما عمل على تنميته والنضال من أجل تغليبه على جوانب النقص وعوامل السكون ... ويصف الأمة الجزائرية بأنها أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال وأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل..."[3] وقد انتقد بن باديس أساليب الاستعمار اتجاه الشعب الجزائري والأمة العربية الاسلامية، ودعا إلى ضرورة الوحدة والإتحاد بين الشعب العربي للتخلص منه.

---

1) محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، ص 38.

2) عمار الطالبي : آثار ابن باديس ،الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997 ، ص 70 / 71 .

3) نفسه :ص 76 .

كما اهتم بن باديس بالقضايا العربية " واعتنى عناية كبيرة بكل ما يتصل بالعرب ويقول كلمته في جميع قضاياهم سواء منها ما تعلق بالتاريخ أو تناول الأحداث الحالية ويحدد في كل مناسبة أسلوب العمل اللازم لتحقيق هدف العرب في الاستقلال والوحدة"[1] لأنه يمتلك " رؤية نهضوية اصلاحية تجديدية انسانية تدافع عن كرامة الانسان وحقوقه في الوطن وفي العالم العربي والإسلامي والإنسانية جمعاء، بحيث قدم مجموعة من الأفكار والأطروحات والمطالب والعرائض المهمة التي تستحق الوقوف عندها بالتأمل والتفكير والتحليل والدراسة من قبل الدارسين والباحثين"[2]

وتبعا لذلك انتقد العلامة المناهج التربوية لعهده وطرق التدريس لأنه يرى أنها لا تؤدي إلى تحقيق أغراض ونتائج ايجابية " ومن وجوه النقد التي يوجهها إلى طرق التدريس في المغرب الإسلامي، الاقتصار على دراسة الفروع الفقهية دون الرجوع إلى الأصول ودون الاعتماد على الاستدلال والتعليل والقياس... ويقترح تدريس اللغة والنحو والصرف ، وتاريخ الأدب العربي والإنشاء وحسن الأداء في القراءة والإلقاء..."[3] كما اهتم بن باديس بمسألة تعليم المرأة لأنه على دراية بما للمرأة من أهمية في بناء المجتمع، لذلك وجب تعليمها وإنتشالها مما هي فيه من الجهالة العمياء.

وقد انطلق الشيخ بن باديس في مشروعه الفكري والإصلاحي والنهضوي من رؤية أنه" لن يصلح العلماء إلا أذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته، وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فلنصلح التعليم... ولن يصلح هذا

1) محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص57.

2) مجموعة من الأساتذة: المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2015، ص94/95.

3) انظر محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر : ص 107 / 111 .

التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه، في مادته وصورته، فيما كان يعلّم عليه الصلاة والسلام، وفي صورة تعليمه، فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم أنه قال: " إنما بعثت معلما" [1]

وقد تفطن بن باديس إلى أنّ" الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، علينا أن نكرم أنفسنا بتكريم أرواحنا بتنزيهها عن مساوئ الأخلاق وتحليتها بمكارمها، وتكريم عقولنا بتنزيهها عن الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات وربطها على العلوم والمعارف وصحيح الاعتقادات..."[2]

ويرى محمد البشير الإبراهيمي أن جهود عبد الحميد بن باديس في خدمة الدين واللغة والأدب والثقافة من خلال الدروس التي ألقاها وعمل على نشرها في المجلات والجرائد تعد " أقوى الآثار في تكوين هذه الملكات وتقويم هذه الألسنة وتثقيف هذه الرماح، فمن تلامذته كتاب القطر اليوم، ومن تلامذته شعراء القطر اليوم، ومن تلامذته المفكرون والدعاة الذين هم دعائم الحركة الإصلاحية ، وقد أصبح الطراز الأدبي الجزائري طرازا مستقلا يُحتذى به ليست عليه مسحة التأثر والمحاكاة..."[3]

وتبعا لذلك اعتمد بن باديس على رؤية سديدة ومنهج ناضج في مسيرته النضالية وحياته العلمية والفكرية، أثبتت عالمية فكره في التعامل مع شتى المواقف والأحداث.

---

1) محمد الحسن فضلاء : الشذرات (من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2010، ص33.

2) عشراتي سليمان: ابن باديس (حواشي وهوامش من الصميم استبصار في خطوط المرايا المضببة)، دار الغرب للنشر، الجوائر، الجزء الثالث، ص125.

3). أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت ،1997 ، ط1، ص153 .

خاتمة:

يمكننا أن نختم هذه الورقة البحثية الموجزة عن العلامة عبد الحميد بن باديس بقول الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين ابن باديس باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر، وواضع أسسها على صخرة الحق وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السلفية ومنشئ مجلة الشهاب مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح ومحي دوارس العلم بدروسه الحية،ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن وغارس بذور الوطنية الصحيحة وملقن مبادئها،علم البيان ، أول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم...[1]

والشيخ عبد الحميد ابن باديس جدير أن تقيم له الجزائر العربية الإسلامية الذكرى، وجدير أن يعد من العلماء الذين سجلوا أسماءهم بأحرف من ذهب في سجل تاريخ العلماء والعظماء.فما أحوجنا لفكر عبد الحميد بن باديس اليوم.

1 . محمد الحسن فضلاء: الشذرات (من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس)، دار هومة للنشر، الجزائر، ط1، 2010، ص14.

المراجع المعتمدة:

.محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

. محمد الحسن فضلاء: الشذرات (من مواقف الإمام عبد الحميد بن باديس)، دارهومة للنشر، الجزائر، ط1، 2010.

عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج1، المجلد الثاني ط3، 1997..

. عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج2، المجلد الثاني، ط3، 1997.

.عشراتي سليمان: ابن باديس (حواشي وهوامش من الصميم استبصار في خطوط المرايا المضببة)، دار الغرب للنشر، الجزائر، الجزء الثالث.

.أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1983.

.محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير، دار الشروق، بيروت، ط1، 1999 .

.مجموعة من الأساتذة: المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2015.

. عمار الطالبي: آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر، ج1، المجلد الثاني، ط3، 1997، ص24.

. نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب التحرير والرفض ، دار العلم الملايين، بيروت ، لبنان ، ص391 / 394 .

. شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2010 ،

.عبد القادر فضيل/ محمد الصالح رمضان: إمام الجزائر(عبد الحميد بن باديس)، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2010.

عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925. 1954) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983.

.مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، قطر، ط1، 1997.